روحي الخالدي
وصورة عن جهوده في النقد الأدبي
والأدب المقارن

عبد القادر هني
معهد اللغة والأدب العربي

عرفت الأمة العربية في النصف الثاني من القرن الماضي فئة من رجالات الثقافة اتجهت الى تجديد الأدب وبعث الحياة فيه بعد سنين طويلة من الجمود والركود فلمعت في هذا المجال أسماء أمثال البارودي وعبد الله فكري ومحمد حسن المرصفي وسواهم وكانت جهود هؤلاء منصبة خاصة على احياء التراث بالعودة الى نماذجه القوية في العصور الذهبية للحضارة العربية والإسلامية للاقتداء بها وترسم خطاها ، في مشروع نفض الغبار عن الأدب العربي والخروج به من الوهدة التي تردى فيها ، وقد كان التركيز على ما جادت به قرائح الأسلاف في تلك العهود الزاهية خطوة أساسية ومنهجية لاقامة حركة النهضة الأدبية على قاعدة صلبة تضمن لها الاحتفاظ بالملامح الأصيلة لشخصية الأمة .

واذا كان جيل النهضة الأول قد انصرف انصرافا كليا الى التراث فان الجيل الثاني بعد أن تشبت من عناصر الأصالة والقوة في شخصيته أقبل على فتح نافذة على الثقافة الأجنبية في اطار السعي الى اغناء حركتنا الأدبية وتجديد أشكالها وكان روحي الخالدي أحد أبناء هذا الجيل الذي بذل ما في الوسع للنهوض بالأدب العربي وتنويع مشاربه بوصله بتجارب الأمم الأخرى في هذا المضمار .

والحق أن الدكتور حسام الخطيب في محاضرته التي ألقاها في الملتقى الدولي للأدب المقارن الذي نظمته جامعة عنابة سنة 1983م هو الذي لفت نظري الى منزلة هذه الشخصية وأهميتها

في النقد العربي الحديث ، فقد قال في حقها : «ويمكن اعتبار روحي الخالدي سواء من حيث السبق الزمني أم من حيث السبق العلمي رائد الأدب العربي المقارن بما تنطوي عليه كلمة (ريادة) من تسامح في ناحيتي المنهج والدقة العلمية وهذا الحكم ينبغي أن لا يتعارض مع المكانة الريادية المرموقة التي يحتلها سليمان البستاني وقسطاكسي الحمصي وأقرانها في حقل النقد الأدبي العربي والدراسات الأدبية المتفتحة ويكفي أن نلقي نظرة على عنوان كتاب الخالدي (يعني : تاريخ علم الأدب عند الأفرنج والعرب) ومقدمته بالفرنسية مقدمة الناشر لنستنتج أننا ازاء مشروع دراسة مقارنة على درجة جيدة من الوعي النظري»[1] .

وقد دفعني هذا الكلام منذ الاطلاع عليه غداة صدور أعمال الملتقى المشار إليه مطبوعة بين دفتي كتاب الى الاهتمام بجمع مزيد من المعلومات عن هذا الرجل الذي ظلت جهوده قبل تسليط الدكتور الخطيب الضوء عليها في طي الكتمان بالنسبة الينا في الجزائر خاصة . فلما تجمع لدي نصيب منها رأيت أن أقدمها الى القارئ الكريم في هذه العجالة على أمل أن أعود إليه مستقبلا بمشيئة الله في دراسة أكثر تفصيلا .

اذا كان هذا الأديب والناقد الفلسطيني قد ولد في القدس سنة 1864م فان الأخبار المتوفرة لدينا عنه تتصل كلها بحياته العلمية ونشاطه الفكري ، أما الجانب الاجتماعي من حياته فليس بين يدي منه شيء ذو بال اللهم الا زواجه من فتاة فرنسية في مرحلة متأخرة نسبيا من حياته وذلك حين عينته الدولة العثمانية قنصلا عاما في مدينة (بوردو) الفرنسية عام 1898م وأرجح أن همته القعساء في التحصيل هي التي جعلته لا يهتم بهذا الجانب الا بعد استكمال تعليمه واستقراره كما أن امتداد حياة الطلب عنده الى ما بعد سن الخامسة والعشرين قد يسمح بالافتراض أنه كان من عائلة ميسورة الحال بالنظر الى ما تستوجبه هذه السنوات الطويلة التي قضاها في اكتساب المعارف من نفقات كبيرة ، لكن هذا الكلام يبقى مجرد افتراض لا أستطيع القطع بصحته الآن .

أما تعليمه فان المعلومات التي نملكها عنه تفيد أنه تلقى دروسه الأولى بالقدس ، غير أن المقام لم يستقر له بمسقط رأسه فتنقل بينه وبين نابلس وطرابلس الشام وبيروت . ونعتقد أن هذا التنقل لم تكن وراءه الا رغبة في تعميق معارفه فهو لايدل - كما يبدو لنا - على حالة من الاضطراب في الحياة الاجتماعية كان يمر بها لأننا نرى رغبته الجامحة هذه في بلوغ أقصى مايمكنه الوصول اليه في طلب العلم تدفع به الى الاستانة عام 1889م فينتسب الى «المكتب الملكي الشاهاني» ويحضر أيضا دروس الشيخ جمال الدين الأفغاني . ثم يشد الرحال الى باريس فيدخل مدرسة العلوم السياسية ولما أنهى دروسه بها انتقل الى السوربون لدراسة الفلسفة والعلوم الإسلامية والشرقية ، وكان زيادة على ذلك على اتصال بالمستشرقين الأوروبيين لمعرفة آرائهم ووجهات نظرهم في الثقافة العربية فأحس بتقليل هؤلاء من قيمة الشعر والنثر العربيين

وبتفضيلهم أدباء أوروبا على أدباء العربية فاغتنم الخالدي الفرصة في كتابه : (تاريخ علم الأدب عند الأفرنج والعرب) للرد عليهم فقال ، يدافع عن الحريري والهمداني والحق أن هؤلاء الأفاضل لم يقصودا بتأليف المقامة تصوير رواية مضحكة على أسلوب الكوميدية ولا رواية محزنة على نسق التراجيدية انما قصدوا المقدرة على تصنيف الكلام وتدبيجه بديباج الاستعارات والباسه حلل التشابيه وترصيعه بلألىء البديع ولوصرف الواحد من أولئك الأفاضل عنايته لتصوير رواية على نسق روايات اليونان أو الرومان أو الافرنج لسقانا بكأس من الزجاج الشفاف أطيب الخمور وأعلاها طبقة ، ولكنه أراد أن يغترف من ماء البحر باناء صاغه من الذهب الخالص وطلاه بالمينا الثمينة ورصعه فوق ذلك بعروق وأوراق من الجوهر واللآلي ، ليخفي الماء بأبهى اناء[2] .

ونلتقي بردود أخرى ضمنية على هؤلاء المستشرقين في صفحات أخرى من كتابه هذا مثلما صنع في اشارته الى اقتباس الأوروبيين أقاصيصهم من العرب ، وفي تنبيهه على الأصل العربي لمسرحية (السيد) وأخذ التروبادور علم القوافي من العرب[3] .

ويخيل الي أن الخالدي أحس (في المرحلة الباريسية) أن عوده قدصلب ، وأن نضجه المعرفي قد بلغ مبلغا يسمح له بالمناقشة وابداء الرأي والمشاركة في الحركة الفكرية فاعتلى المنابر لالقاء محاضرات في قضايا عربية وإسلامية وشارك في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد سنة 1897م بباريس التي عمل بها مدرسا أيضا في جمعية نشر اللغات الأجنبية .

ان هذا العمر الطويل الذي أمضاه الخالدي في طلب العلم والاحتكاك بالثقافات الأخرى ومحاورة علمائها المتبحرين فيها سمح له أن يحصل ثقافة عميقة غنية ومتنوعة ، فلم يقف بمعارفه عند حدود التراث العربي بفروعه المختلفة من لغويةوأدبية وفلسفية وتاريخ وعلوم إسلامية وكيمياء انما تجاوز ذلك الى دراسة طائفة من المعارف التي كانت تدرس في فرنسا في عصره كالأدب الأوروبي قديمة وحديثه والفلسفة والعلوم السياسية والحقوق .

أم اللغات فكان يسحن منها بالاضافة الى العربية والفرنسية اللغتين التركية والفارسية ومن يمعن النظر في المؤلفات التي تركها لنا يتبين دون كبير عناء ألوان المعارف التي كان يحيط بها فمن مصنفاته : «العالم الإسلامي» و«أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة» و«رحلة الى الأندلس» و«المسألة الشرقية» و«تاريخ الصهيونية» و«علم الألسنة في مقابلة اللغات» ورسالة في علم الكيمياء عند العرب وكيف انتقل الى الافرنج وكتاب «تاريخ علم الأدب عند الافرنج والعرب» فلو تصفحنا هذا الكتاب الأخير مثلا فاننا نلمس فيه سعة اطلاع الخالدي لا على الأدب العربي فحسب بل على الآداب الغربية أيضا كما يتجلى من مقارنته بين الشعر العربي والشعر الأوروبي وايراد آراء كل طرف في شعر الآخر ، ومقارنته بين موضوع ملهاة (تارتوف) لموليير وأبيات لأبي العلاء المعري وبين قواعد الاتباعية الجديدة وبيت لحسان بن ثابت في الصدق اضافة الى مقارناته

المستمرة بين فكتور هيغو والمعري ومتابعته المذاهب والأنواع الأدبية الأوروبية لا سيا في الآداب الانجليزية والفرنسية والألمانية[4] .

ان هذا الجهد الكبير الذي صرفه الخالدي في حقل الثقافة والفكر لم يمنعه من ممارسة السياسة فقد تولى كما قلنا قبلا منصب قنصل عام للدولة العثمانية في (بوردو) عام 1898م ثم عين رئيسا لجمعية القناصلة في نفس المدينة ولما أعلن الدستور العثماني سنة 1908م عاد الى وطنه فانتخبه أهل القدس نائبا عنهم في مجلس النواب العثماني بالاستانة وانتخبه المجلس بدوره وكيلا أولا وجدد مواطنوه ثقتهم فيه مرات عدة وبعد حل مجلس النواب عام 1912م رجع الى القدس ثم سافر الى الاستانة وتوفي بها على اثر حمى أصابته وذلك في 1913/8/06م .

اذا كان الخالدي كما بين تاريخ حياته شخصية فكرية خاضت في مجالات معرفية مختلفة فان ما يهمنا من نشاطه الفكري في هذا المقام هو ما يتصل بالأدب والنقد لذلك سيقتصر اهتمامنا على واحد من مؤلفاته هو : «تاريخ علم الأدب عند الافرنج والعرب» ليس الا .

ان هذا الكتاب كما يدل عنوانه وكما وضح الدكتور الخطيب يندرج في الدراسات الأدبية المقارنة التي تبحث في التأثيرات المتبادلة بين الآداب وبالتوغل فيه نلمس في وضوح أن الخالدي كان على وعي كبير بموضوع كتابه فضلا عن الدقة التي ميزت المقارنات التي أجراها بين الآداب وبين الظواهر الفنية التي انتقلت من الأدب العربي الى الآداب الأوروبية فانه يثير اعجابنا أيضا بتوفيقه في تفسير مظاهر التأثير والتأثير بين هذه الآداب وبفهمه العلمي لمعنى المقارنة فهو لا يكتفي بالتنبيه على مظاهر التشابه بين الأدبين العربي والأوروبي في بعض الموضوعات والظواهر الفنية انما ذهب الى أبعد من ذلك فوضح السبل التي انتقلت عبرها الأفكار والأساليب والتقنيات الأدبية العربية الى أوروبا فتحدث عن اللقاء الذي تم بين العرب وبين الفرنسين في شمال اسبانيا وجنوب فرنسا وكشف عن الجو السياسي والاجتماعي الذي تمت في رحابه هذه الاستعارات الأدبية . ومعلوم أن التأكد تاريخيا من حدوث اللقاء بين الأدبين المؤثر والمتأثر والكشف عن قنوات الاتصال بينهما خطوة منهجية أساسية في الدراسات الأدبية المقارنة .

وقد تفطن الخالدي أيضا الى أن اختلاف لغات الآداب التي يدرسها في هذا المضار مبدأ رئيسي من مبادىء المقارنة يتجلى ذلك من عنوان كتابه ومن دراسته التطبيقية فاختياره الأدبين العربي والافرنجي مجالا للدراسة يكشف عن ادراكه ضرورة الخروج عن حدود الأدب الواحد واللغة الواحدة في الدراسات المقارنة وقد ظل وفيا لهذا الاجراء المنهجي في صلب الكتاب فكانت متابعته ظاهرة الاستعارات الأدبية بين آداب مختلفة من حيث اللغات التي كتبت بها سواء حين تعلق الأمر بما أخذه الغربيون من العرب أم حين راح يتابع المذاهب والأنواع الأدبية داخل الآداب الأوروبية نفسها كالأدب الفرنسي والأنجليزي والألماني[5] .

ومن البين أن الخالدي كان على وعي كبير بأهمية التفتح على الثقافات الأخرى في أخصاب

ثقافة الأمة والنهوض بأدبها وتجديد أساليبها في الكتابة فقد قال في هذا الموضوع : لا يكمل علم الأدب للمتبحر فيه الا بعد أن ينظر في آداب الأمم المتمدنة ولو نظرة عامة يطلع بها على مجمل تاريخ أدبهم وعلى بعض ما ترجم من مؤلفات المشاهير من كتبهم فيقف على ما عندهم من سعة الفكر وسمو الادراك وبلاغة المعاني ويعرف أساليبهم في النظم والنثر وتصرفهم في الكلام ويميز بين طرق المتقدمين والمتأخرين فاذا أحاط بذلك فهم الغرض الذي يتطلبه أئمة البلاغة من أي لسان وملة وأرى الهدف الذي يروم كل منهم اصابته فيصوب نحوه القلم عسى أن يكون له مع الخواطىء سهم صائب[6] .

واذا كنا نعتقد أن الخالدي في كلامه هذا متأثر بما لاحظه من أثر ايجابي للأدب العربي في الأدب الأوروبي نتيجة ما استعاره الغربيون منه من موضوعات وأساليب فان ما رآه من فروق شاسعة بين الأدب الغربي والأدب العربي في عصره سواء من حيث العمق الفكري أم من حيث التنوع والاتصال بالحياة كان حافزا له على مثل هذه الدعوة اعتقادا منه بأن الحجر على النفس والتقوقع على النماذج المحلية لا يمكن أن يخرج أدبنا مما هو فيه من ترد وفقر وسقوط لأن تطور الأدب والثقافة بوجه عام غير منفصل عن تطور الأمة في المستويات الأخرى من الحياة من ثم كانت دعوته الى ضرورة الاتصال بتجارب الأمم المتحضرة من أجل بث الحياة في الأدب العربي الذي استحال في أواخر عصر الضعف خاصة الى جثة هامدة يقول الخالدي مبينا علاقة الأدب والبلاغة بحياة الأمم : «وكلما ارتفقت أمة في سبيل الحضارة كان لسانها أبلغ وأدبها أوسع وأكمل لتهافت أدبائها على تنميق الكلام وتهذيب مناحيه وفنونه فيدركون بالتدرج حقائق المعاني التي ربما استعملها آباؤهم وأجدادهم ، في غير مواضعها بسبب الجهل الناشىء من ضيق العمران وقلة العلوم ويفرغون ما أوجدوه وما أصلحوه من المعاني في قوالب تناسبها من الألفاظ والتراكيب»[7] .

لا أدري بالتحديد الى أي مدى استفاد الخالدي وهو الرجل الذي كان على دراية واسعة بالتراث من فكرة شبيهة بفكرته هذه في ربط الأدب بالحياة وأثره في تطور الأدب وردت في كتاب العمدة لابن رشيق الذي قال يتحدث عن انفساح مجال المعاني حيال المحدثين بنمو الحياة ورقيها : «انما اتسعت لاتساع الناس في الدنيا وانتشار العرب بالإسلام في أقطار الأرض فمصروا الأمصار وحضروا الحواضر وتأنقوا في المطاعم والملابس وعرفوا بالعيان عاقبة ما دلتهم عليه بداهة العقول من فضل التشبيه وغيره[8] .

وقد تتاح لنا فرصة في المستقبل بحوله تعالى لتأصيل أفكار الخالدي ولكن ما يمكن أن نؤكده هو أن دعوته الى الاتصال بثقافات الأمم الأخرى في سبيل تجديد ثقافتنا ونفي مظاهر الضعف عنها ليس فيها أي ازدراء للماضي الثقافي العربي والإسلامي ولا استهانة بما عرفه الأدب العربي من فنون بل أجزم دون أدنى تردد أنه كان في هذه المسألة أصيلا حتى النخاع ففي كلامه

مثلا على ضرورة اتساع الأدب العربي لأنواع أدبية جديدة كالرواية والأدب التمثيلي اللذين عرفتها الآداب الغربية يشير على الأدباء أن يستلهموا موضوعاتهم في هذه الأشكال الأدبية من تراثنا الزاخر ببطولات أمثال موسى ابن نصير وصلاح الدين الأيوبي وبالوقائع التاريخية التي تساعد على تصوير الأخلاق الانسانية الفاضلة والقيم العليا معنى ذلك أن الاسترفاد بثقافات الأمم الأخرى لتصحيح مسار ثقافتنا لا يعني أن نستورد قيم تلك الأمة ومثلها ونتخذ منها بديلا للمثل والقيم الصحيحة الموجودة في ميراثنا الحضاري الأمر الذي ينتهي بنا اذا سلكنا هذا المسلك الى انتحال شخصية غير شخصيتنا والذوبان في الآخر كما تضمنت ذلك دعوات بعض أبناء أمتنا بحجة أن الخروج من التخلف في كل شيء لا يكون الا بالقطيعة المطلقة مع الماضي وهو ما لم يذهب إليه الخالدي الذي رأيناه يدافع عن الشعر والنثر العربيين ردا على هجمات بعض المستشرقين كما مر معنا ودفاعه هذا لم يكن دفاعا عاطفيا هدفه انتحال المبررات لما أصاب الأدب العربي من ضعف بعد عصور ازدهاره فقضية تطوير هذا الأدب والنهوض به من كبوته كانت من مشاغله كما رأينا وكما يظهر من ارشاده المحدثين من الأدباء ليعزفوا عن المبالغة في الزخرفة والصنعة البديعة وعن أضرب الأساليب التي كانت تثقل كتاباتهم رغبة في تقليد الأنماط العالية من الكلام لما في ذلك من آثار سلبية على عملية التبليغ وفي هذا السياق يقول : «فالتكلف في زماننا لتقليد الانشاء العالي ونظم قصيدة ثامنة للمعلقات السبع أو سمع مقامة ثالثة لمقامات الحريري والهمداني ليس فيه كبير فائدة ما دام الأصل في الكلام للمعاني والمقصود من المعاني اظهار أسرار هذا الكون الذي نسبح فيه ونمسي ونحن غافلون عن كثير من حقائقه ولا ندري بأية عبارة نترجم عنها ولا كيف نوضح شعورنا واحساسنا بهذا الوسط الذي نحن فيه وهو سجن لنا فهذه المعاني البليغة ينبغي لأدباء العصر سبكها في السهل الممتنع من الكلام الفصيح بغير تهافت منهم على الكلمات اللغوية والمحسنات اللفظية من جناس وطباق وقراءة الكلام طردا وعكسا وأمثال ذلك مما يعده العقلاء من الألاعيب الصبيانية اذ ليس هذا غاية الأدب والغرض منه وخير اللفظ ما جاء بالطبع والبداهة بلا تكلف وتحر في القواميس والمنشآت[9] ومن هذا الادراك للقيود التي كانت تسيء الى الأدب العربي ووعيه بأن قيمة الأدب لا تكمن في شكله فحسب بل في مضمونه أيضا وأن نجاح الأديب لا يتحقق الا اذا وفق في تبليغ محتوى كلامه الى متلقيه وحمله على التأثر به أوجب على المبدع المحدث «أن يتم بيان الموضوع الذي هو فيه وايضاحه ووصفه بالأوصاف السديدة المظهرة له ظهور الشمس في رابعة النهار . ويضع انفعالاته النفسية في ذاك الموضوع فيكون أشد تأثيرا على السامع فتأثير الكلام يكون من جهة الانفعال النفسي والتصوير الطبيعي لا من جهة الاستعارات»[10] .

وقد ظهر جليا أثر الثقافة الأدبية الأجنبية في احساسه بأن الوزن والقافية والافراط في تصنع السجع في الكلام كانت قيدا ثقيلا فرض على الشاعر العربي أن يطوع معناه لها فقال بهذا

الشأن : «ومن يلزم في كلامه السجع أو الوزن أو القافية فهو يلفق بها ما ينقصه من تطبيق الكلام على المقصود ومقتضى الحال ويجبره بذلك القدر من التزيين بالاسجاع وزن الصوت بالوزن والنقعمة كما يزينه ببقية الصنائع البديعة ويغفل عما سوى ذلك من بلاغة المعاني[11] .

ان كلامه هذا يمكن أن يعد من بواكير الدعوة الى التحرر من قيود النظم التي صرف شعراء عصر الضعف اهتمامهم كله إليها ولم يبالوا بما يلحق المعنى بسبب ذلك من أضرار جسيمة لهذا نرى الخالدي يخالف هذا المبدأ فيعيد للمعنى مكانته في نقده فهو يقول : «الأصل في الكلام للمعاني لا للألفاظ ، لأن اللفظ قالب أو ظرف للمعنى يتخذه المتكلم أو الكاتب لسبك مايصوره في نفسه ويشكله في قلبه من المعاني فينفعل لذلك مقصوده للسامع أو القارىء كأنه يشاهد ... فالاقتدار على الابانة عن المعاني الكامنة في النفوس يسمى فصاحة وحيث كان المعنى سابقا للفظ وجب أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني وخادمة لها وليس المعني تابعا للفظ[12] .

ويرى الدكتور ابراهيم الحاوي أن الخالدي في انتصاره بالمعنى على اللفظ أفاد من الأوروبيين ويبدو لنا أنه انما كان يعيد في هذا الموطن .

كلام أمثال عبد القاهر الجرجاني الذي حمل على أولئك الذين أعطوا المزية للفظ فحسب وتعسفوا في اغفال قيمة المعنى والخالدي هنا مثل عبد القاهر لا يقلل من قيمة اللفظ ، انما يدعو الى أن يجعله مستعمله في خدمة المعنى ، لأن اللفظ لا يطلب لذاته انما يؤتى به لتبليغ فكرة ما وقد لا أعدو الحق ان قلت انه حتى في مفهومه الرحب للمعنى كان يحلق فوق عالم عبد القاهر النقدي ، فهو يوضح مفهومه للمعنى بقوله «والمقصود من المعنى اظهار أسرار هذا السكون الذي نسبح فيه ونمسي ونحن غافلون عن كثير من حقائقه ولاندري بأية عبارة نترجم عنها ولا كيف نوضح شعورنا وأحساسنا بهذا الوسط الذي نحن فيه وهو سجن لنا»[13] .

ان عبد القاهر هو الآخر لا يقف للمعنى عند حدود المعنى الجزئي المستفاد من اللفظة المفردة ، فقد تحدث عما أسماه بصورة المعنى . وهو ما يؤديه النص كاملا سواء كان على صورة بيت من الشعر أم جملة من النثر أم كان أوسع من ذلك ، وهذا يستفاد من اتصال المبدع بالكون المترامي حوله بوساطة ملكاته الفكرية خاصة ، وهذا ربما ما يختلف فيه عبد القاهر عن روحي الخالدي الذي منح احساس المبدع وشعوره مكانة لافتة للنظر في اتصاله بالكون مصدر مادة عمله الأدبي أما عبد القاهر فهو وان لم يغفل البعد الشعوري للمعنى ، فانه لم يعطه من الأهمية ما منحه للفكر، لذلك تراه يتحدث عن أهمية الفكر عند المبدع وعند المتلقي على سواء فيقول : «وان توقفت في حاجتك أيها السامع للمعنى الى الفكر في تحصيله فهل تشك في أن الشاعر الذي أداه اليك ونشر بزه لديك قد تحمل فيه المشقة الشديدة وقطع اليه الشقة البعيدة . وأنه لم يصل الى دره حتى غاص وأنه لم ينل المطلوب حتى كان منه الامتناع والاعتياص»[14] .

ان العملية الابداعية كايتصورها عبد القاهر يغلب عليها الجهد الذهني غلبة شديدة فالمعاني

الخفية كما يرى لا يهتدى اليها سواء في ابداع العمل أم في تلقيه الا بالفكر ، وخلافا لذلك فان الخالدي يلح على الجانب الانفعالي في الأدب ، بالنظر الى أهميته في استثارة المتلقين وحملهم على الاندماج في جو النص يقول : «فتأثير الكلام يكون من جهة الانفعال النفسي والتصوير الطبيعي ، لا من جهة الاستعارات»[15] .

وكلامه هذا لا يدل على أنه يستهجن الاستعارات مطلقا ، لأن ذلك سيؤدي الى الغاء عنصر رئيسي من عناصر الأدب هو الصورة ، وانما يعني أنه لا يرضى عن الاستعارات المقصودة لذاتها والتي يقصدها المبدع بفكره دون أن تكون لها علاقة بوجدانه وما تزخر به نفسه من مشاعر واحساسات وليس في هذا الموقف ما يلغي البعد الفكري في العمل الأدبي أو يقلل من مكانته فيه ، يؤيد ذلك قول الخالدي يتحدث عن فائدة اطلاع الأديب على مؤلفات المشاهير من كتاب الأمم الأخرى «فيقف على ما عندهم من سعة الكفر وسمو الادراك» .

ويمكن أن نضيف الى ما تقدم من آراء الخالدي وملاحظاته النقدية ، تفطنه الى أن التجارب التاريخية والاجتماعية اذا تشابهت فانها تنتج أفكارا وآدابا متشابهة وهو ما يوضح أنه فهم بأن الأدب ليس من ابداع الفرد وحده انما يسهم المجتمع أيضا - بمجمل الظروف المحيطة به - في انتاجه .

واذا كنا لا نزعم أننا أحطنا في هذه السطور بفكر روحي الخالدي النقدي ، فان ما لابد من تسجيله وتوكيده هو أن الرجل كان ناقدا أصيلا وكان من أهدافه النهوض بالأدب العربي وتطويره باستلهام التراث من جهة وتغذيته بتجارب الأمم المتدنة من جهة أخرى ، وهو اجراء منهجي يسمح في تقديرنا باستكشاف عناصر القوة في ميراثنا الثقافي للانطلاق منها لانجاز المشروع الأدبي الذي نطمح إليه .

هوامش

(1) أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن عند العرب ، محاضرة د / حسام الخطيب ص 51 .
(2) تاريخ علم الأدب عند الافرنج والعرب تأليف روحي الخالدي ص : 61 .
(3) أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن محاضرة د / حسام الخطيب ص : 52 .
(4) راجع ماكتبه الدكتور حسام الخطيب عن هذه المسألة في المرجع السابق ص : 54 .
(5) المرجع السابق ص : 54 .
(6) تاريخ علم الأدب عند الافرنج والعرب تأليف روحي الخالدي ص : 26 .
(7) نفس المرجع ص : 26 .
(8) العمدة لابن رشيق 2 / 236 .
(9) تاريخ علم الأدب عند الافرنج والعرب ، تأليف روحي الخالدي ص : 29 .
(10) تاريخ علم الأدب للخالدي ص : 181 وراجع حركة النقد الحديث والمعاصر للدكتور ابراهيم الحاوي ص : 35 .
(11) تاريخ علم الأدب للخالدي ص : 43 .
(12) تاريخ علم الأدب للخالدي ص : 25 وراجع حركة النقد الحديث والمعاصر للدكتور ابراهيم الحاوي ص . 32 .
(13) تاريخ علم الأدب للخالدي ص : 29
(14) أسرار البلاغة لعبد القادر الجرجاني ص : 123 .
(15) تاريخ علم الأدب للخالدي ص : 181 .